دراسة سلوك النبي ﷺ في مواجهة التقاليد الجاهلية في مجال الأسرة نظرة على ترتيب النزول وتحديثه[1]

معصومه نوروزيان عزيزي
طالبة المستوى الرابع في الحوزة العلمية للسيدة خديجة الكبرى (س)، بابل، إيران
za.nor.1361@gmail.com
د. سيد قاسم حسيني
أستاذ مساعد، عضو هيئة التدريس بجامعة العلوم والمعارف القرآنية، قم المقدسة، إيران
mirtaha1@yahoo.com
د. حبيب الله حليمي جلودار
أستاذ مشارك، قسم علوم القرآن والحديث، كلية الإلهيات والمعارف الإسلامية، جامعة مازندران، إيران
jloudar@umz.ac.ir

A study of the Prophet's (PBUH) behavior in confronting the pre-Islamic traditions in the family sphere. A look at the order of revelation and its modernization

Masoumeh Norouzian Azizi
Fourth level student at Sayyida Khadija Kubra (PBUH) Seminary , Babylon , Iran
Dr. Seyyed Ghasem Hosseini
Assistant Professor , Faculty Member , University of Quranic Sciences and Knowledge , Holy Qom , Iran
Dr. Habibullah Halimi Jaludar
Associate Professor , Department of Quranic and Hadith Sciences , Faculty of Theology and Islamic Studies , University of Mazandaran , Iran

الملخص:-

كان الرسول الأكرم ﷺ مواجهاً لسلوكيات المشركين الجاهلية في الأسرة في عصر النزول ومن أجل هدايتهم، تحمّل المصاعب والمختلف من الظروف فبالتالي تعامل معهم بتدبير خاص. لقد قام هذا البحث علي ضوء المنهج الوصفي - التحليلي بدراسة نمط النبي ﷺ السلوكي في أمر الأسرة علي أساس ترتيب النزول مستعيناً بالآيآت والأحاديثق والتفاسير والمصادر ذات الصلة. تدل نتائج البحث علي أنّ النبي ﷺ في أول البعثة خالف قتل البنات مخالفة شديدة ثمّ تصدّي لقتل الأولاد بسبب الفقر و... وكما واجه بعد الهجرة عاداتهم المنكرة في الزواج والطلاق ونحو ذلك، فإن سلوك النبيﷺ من أوله إلى آخره كان سليما منظما متدرجا وهو يعبّر عن سلوك شخصية الرسول، واليوم، يمكن نمذجة وتحديث هذه البنية السلوكية في مواجهة الجاهلية المعاصرة في حقل الأسرة.

الكلمات المفتاحية: معرفة السلوك، شخصية النبي ﷺ، الجاهلية، المشركين، عصر النزول، الأسرة.

Abstract:-

The Holy Prophet (PBUH) faced the behavior of the polytheists in the family during the era of revelation and in order to guide them, he endured hardships and different circumstances and thus dealt with them with special management. This research, in light of the descriptive-analytical approach, studied the behavioral pattern of the Prophet (PBUH) in the family matter based on the order of revelation, using verses, hadiths, interpretations and related sources. The results of the research indicate that the Prophet (PBUH) at the beginning of the mission strongly opposed the killing of daughters and then confronted the killing of sons due to poverty and... And as he faced their reprehensible customs in marriage, divorce and the like after the migration, the behavior of the Prophet (PBUH) from beginning to end was sound, organized and gradual and it expresses the behavior of the personality of the Prophet, and today, this behavioral structure can be modeled and updated in confronting contemporary ignorance in the field of family.

Key words: Knowledge of behavior, the personality of the Prophet (peace be upon him and his family), ignorance, polytheists, the era of revelation, family.

١.مشكلة البحث

للحصول علي سلوك النبي ﷺ مع المشركين حسب الترتيب الزمني يمكن أن نستخدم إطار ترتيب نزول الآيات وأن ندرس المقاييس المهمة للنبي الأكرم ﷺ نموذجا في العصر المعاصر لكيفية التعامل مع أعداء الدين والجهاهلية الحديثة. يهدف هذا البحث إلى استخلاص نموذج سلوكي عملي من تعامل النبي ﷺ مع المشركين ومواجهته لهم لمواجهة السلوكيات الجاهلة في العصر الحديث. تكمن أهمية البحث في أنه من خلال تنزيل نزول الآيات يمكن التوصل إلى نموذج سلوكي نبوي محدد؛ لأنّ نزول القرآن كان متدرجاً ومبنياً على الحكمة الإلهية وكانت سيرة النبي ﷺ متوافقة معه.

فيما يتعلق بموضوع هذا البحث فقد كتبت بعض الأبحاث مثل:

- محمد تقي دياري بيدگي، أبوذر خيراندش؛ "راهبردهاي حل بحرانهاي فرهنگي-اجتماعي جاهليت از منظر قرآن و حديث"، استراتيجيات حل أزمات الجاهلية الاجتماعية والثقافية من منظور القرآن والحديث، يتناول هذا البحث حل أزمة الجهل في شكل أربعة مبادئ استراتيجية، وهي النهج التدريجي والعملي، واستراتيجية الاستبدال، واستراتيجية التوصل إلى اتفاق، واستراتيجية الرفض والإبطال الحاسم.
- رضا مردادي سحر، زهره اخوان مقدم، مجيد نبوي، "امير مؤمنان و مؤلفه‌هاي فرهنگ «جاهليت» با تيكه بر ترسيم نهج البلاغه"،/ أمير المؤمنين وعناصر ثقافة «الجاهلية» بناء علي رسم نهج البلاغة ١٣٩٨؛
- جليل پروين، پريا نوري خسروشاهي، محمد علي مهدوي راد، علي صفري، "مطالعه‌ي تطبيقي طلاق در فرهنگ جاهليت و قرآن با تكيه بر بسترهاي معرفتي"،/ دراسة مقارنة للطلاق في ثقافة الجاهلية والقرآن على أسس معرفية ١٣٩٩؛
- ابراهيم فلاح، صفيه ميرحسيني، "شيوه‌هاي مبارزه پيامبر ﷺ با فرهنگ زن ستيزي عصر جاهلي از ديدگاه قرآن كريم"،/ أساليب النبي ﷺ في محاربة الثقافة المعادية للنساء في العصر الجاهلي من منظور القرآن الكريم ١٣٨٩؛ يرينا هذا

البحث أهم أساليب محاربة الرسول مع الثقافة الجاهلية من خلال البحث في القرآن الكريم ودراسة التفاسير والكتب التاريخية.

- فتحيه فتاحي زاده، "مبارزه پيامبر با آداب و رسوم خرافي"، محاربة النبي مع العادات الخرافية ١٣٨٧؛ تناول هذا البحث مسألة الخرافة ودور النبي ﷺ في إزالة الخرافات. لكن، بحسب الكاتب، لم يتم العثور على بحث حول موضوع "دراسة سلوك النبي ﷺ في مواجهة التقاليد الجاهلية في مجال الأسرة نظرة على ترتيب النزول وتحديثه".من هذا المنطلق، فقد تمّ كتابة هذا البحث في أنواع سلوك النبي ﷺ في التقاليد الجاهلية للمشركين في مجال الأسرة قبل الهجرة وبعدها، معتمداً على الترتيب النزولي لآيات القرآن الكريم والتفسير والروايات.

٢. سيرة النبي ﷺ السلوكية في تعزيز مكانة البنت وكرامتها

كان من تدابير رسول الله ﷺ بناء على تعليمات القرآن، التعامل مع الإهانات والنيل من مكانة النساء والبنات. في عصر النزول كان النبي ﷺ مواجهاً لأهم سلوك المشركين الجاهلي وهو قتل البنات. للتعامل معها كان له خطة خاصة تعكس كرامة البنت من منظور آيات القرآن. لهذا شدد على هذا السلوك الجاهل في أول البعثة ونهى عنه، كما روي عن النبي ﷺ: «... وَ نَهَى عَنْ عُقُوقِ الْأُمَّهَاتِ وَ وَأْدِ الْبَنَاتِ...» (مجلسي، ١٤٠٣: ٧٣/ ٣٤٣-٣٤٤). في هذه الأثناء، أي في السنوات الأولى للبعثة، وهب الله تعالى للنبي ﷺ ابنة جلبت له خيرا كثيرا وعلى عكس سلوك العرب تجاه البنات، فقد كان يتصرف بها تصرفاً لائقاً لقيمة البنت وكرامتها.

مثلا: «وَ كَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ رَحَّبَ بِهَا وَ قَامَ إِلَيْهَا فَأَخَذَ بِيَدِهَا وَ قَبَّلَ يَدَهَا وَ أَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ...؛ (طبري آملي، ١٣٨٣: ص٢٥٣). أو كان يقول: «فاطمه أحبّ الناس عندي» (مفيد، ١٤١٣: ٢٦٠). « فاطمة بضعة مني و هي نور عيني وثمرة فؤادي» (صدوق، ١٣٧٦: ١١٣). «فداك ابوك يا فاطمة» (مجلسي، ١٤٠٣: ٢٢/ ٤٩٠). «نُورُ ابْنَتِي فَاطِمَةَ مِنْ نُورِ اللَّهِ وَابْنَتِي فَاطِمَةُ أَفْضَلُ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» (همان، ١٥/ ١٠). «نعم الولد البنات، ملطفات، مجهزات، مونسات مفليات» (حرعاملي، ١٤٠٩: ١٥/ ١٠٠). كل هذه الأحاديث عن النبي ﷺ تدل علي معارضته العنيدة لوأد البنات وتعظيم كرامة المرأة

الإنسانية، بحيث تحول سلوك النبي هذه الثقافة الجاهلية لقتل البنت إلى سلوك إنساني في المجتمع. لذلك، إنّ بعض الناس، بعد الإيمان بالإسلام، ومن أجل القضاء على هذا العمل الشنيع الذي فعلوه في زمن الجاهلية، سألوا النبي ﷺ عن حل حتى يخففوا من عبء مثل هذا الذنب العظيم (مكارم‌شيرازي، ١٣٧٤: ١١/ ٢٧٣-٢٧٤؛ جعفري، ١٣٧٦: ٦/ ١٦٠-١٦١).

تشير هذه المباحث إلى أن كرامة البنت من منظور المعايير السلوكية للنبي ﷺ كانت مبنية على التدبير الإلهي الملهم من الوحي لدرجة أنه في بداية نزول القرآن لقد أولي اهتماماً خاصاً لها.

اليوم، وبسبب بُعد المجتمعات البشرية عن تعاليم القرآن فيما يتعلق بمكانة البنت، للأسف، لم يتم احترام هذا المعيار من السلوك، ولم تقدر الفتيات أنفسهن كزوجات وأمهات ورجعن إلى الانحرافات الجاهلية وهذا بحد ذاته سبب في انهيار نظام الأسرة، لأنّ وجود المرأة في الأسرة من أهم العناصر المؤثرة التي سيبقي نظام الأسرة من خلالها.

٢-١. الاستناد القرآني لسلوك النبي ﷺ في تعزيز كرامة البنات

إنّ الآيات القرآنية في وصف سلوك النبي أبلغ من أي بيان أنه في الأيام الأولى من نبوته، كانت أول عمل مهم تلقاه من الله للتصدي للمشركين هو محاربة قتل البنات هذه: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ (التكوير: ٨-٩).

قد وردت طريقة قتل البنات بطرق مختلفة في التفاسير: "كان بعض العرب يئدون البنات فمنهم من يرميهنّ من مكان مرتفع، ومنهم من يقتلهن، ومنهم من يغرقهنّ وسط الماء» (مغنيه، ١٣٧٨: ٨١٠/٤). وبسبب هذه العادة، كان على الأمهات رمي أطفالهنّ في الحفرة إذا كانوا بنات..» (سيوطي، ١٤٠٤: ٦/ ٣١٩؛ جعفري، ١٣٧٦: ٦/ ١٥٥). هذه كلها شواهد تاريخية تدل على هذا التقليد الجاهلي في ذلك الوقت.

بالإضافة إلى ذلك، هذه السورة من حيث ترتيب النزول، فهي سورة سابعة بعد سورة المسد وقبل سورة الأعلى التي نزلت على النبي ﷺ (بلاغي، ١٣٨٦: ٣٢؛ بهجت‌پور، ١٣٩٤: ٨٥). هذا يدل على أولوية تعامل النبي ﷺ مع قتل البنات في عصر النزول.

يقول العلامة الطباطبائي في كلمة «موءودة»: الموءودة البنت التي تدفن حية وكانت

العرب تئد البنات خوفا من لحوق العار بهم من أجلهن (طباطبايي، ١٣٧٤: ٢٠/ ٣٥٠-٣٥١).

للتأكد على قبح هذا السلوك، ذكر الله الموضوع مرة أخرى وأدان هذا القبح بشدة، وهذه المرة بمزيد من التفصيل في سورة النحل التي نزلت قبيل هجرة النبي إلى المدينة (بلاغي، ١٣٨٦: ٢١). يقول الله تعالى في هذا الأمر: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ (النحل: ٥٨ و٥٩).

٢-٢. محاربة القرآن لقتل الطفل بسبب الفقر والإملاق

من عادات العرب الأخرى قتل الأطفال في أوقات الفقر والإملاق قد تناولها الله في القرآن ونهى قريشاً عن ذلك بشدة: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيرًا﴾ (الاسراء: ٣). إذا راجعنا إلى آراء المفسرين وعلماء القرآن نجد أن هذه السورة نزلت بمكة، وهي السورة الخمسين في ترتيب النزول، نزلت قبل سورة القصص وبعد سورة يونس (طباطبايي، ١٣٧٤: ١٣/ ٥-٦؛ مكارم‌شيرازي، ١٣٧١: ١٢/ ٤؛ ابن‌عاشور، ١٤٢٠: ١٤/ ٥؛ آل‌غازي، ١٣٨٢: ٢/ ٤٠٧؛ بهجت‌پور، ١٣٩٤: ٢٢٦). كما أن سورة الإسراء نزلت على النبي ﷺ في السنة الحادية عشرة من النبوة، قبل الهجرة إلى مكة بسنة وشهرين (رضايي‌اصفهاني، ١٣٨٧: ١٢/ ٢٣). كما تظهر سنة النزول التاريخية أنّ ممارسة قتل الأطفال كانت ولم تزل موجودة بأشكال أخرى مثل الفقر والفاقة بين المشركين ولم تختف. لهذا يحذرهم الله من خلال النبي في عدة آيات.

قد نهي الله تعالى في هذه الآية الكريمة عن قتل الأطفال خوفاً من الفقر والإملاق. إنّ جملة ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ تعليل لذلك النهي ومقدمة للجملة التالية التي قالها: ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيرًا﴾ والمعنى ولا تقتلوا أولادكم خوفا من أن تبتلوا بالفقر والحاجة فإنكم لستم ترزقونهم حتى تفقدوا الرزق عند فقركم وإعساركم بل نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأ كبيرا.وقد تكرر في كلامه تعالى النهي عن قتل الأولاد خوفا من الفقر وخشية من الإملاق، وهو مع كونه من قتل النفس المحترمة التي يبالغ كلامه تعالى في النهي عنه إنما أفرد بالذكر واختص بنهي خاص لكونه من أقبح الشقوة وأشد القسوة، ولأنهم ـ كما قيل ـ كانوا يعيشون في أراضي يكثر فيها السنة ويسرع إليها الجدب فكانوا إذا لاحت لوائح الفاقة

والإعسار بجدب وغيره بادروا إلى قتل الأولاد خوفا من ذهاب الكرامة والعزة» (طباطبايي، ١٣٧٤: ١٣/ ١١٦).

قد ورد في عدة تفاسير أنّ سبب قتل الأطفال على يد المشركين هو الفقر: (قمي، ١٣٦٣: ٢/ ١٩؛ فيض كاشاني، ١٤١٥: ١/ ٩٦٨؛ حويزي، ١٤١٥: ٣/ ١٦٠-١٦١؛ بحراني، ١٣٧٤: ٣/ ٥٢٦؛ عياشي، ١٣٨٠: ٢/ ٢٨٩-٢٩٠). كانت هذه العادة شائعة بين العرب الجاهلين في أوائل الإسلام، وخاصة بين قبائل بني تميم، وهذيل، وقيس، وبكر بن وائل (ابن‌ابی‌الحدید، ١٤٠٤: ١٣/ ١٧٤).

تدل هذه الآيات على أنّ معايير سلوك النبي ﷺ، في مواجهة التقاليد الجاهلية في فترة الرسالة، كانت نابعة من الفطرة الإنسانية النقية وتلقي إلهامات النبي ﷺ الموحية وبالتالي يمكن تطبيقه وتنفيذه في أي وقت.

٢-٣. تحديث سلوك النبي ﷺ أمام الإجهاض

قيل إنّ المشركين وقت النزول كانوا يقتلون الطفل بسبب الفقر والإملاق، واليوم استمرت آثار هذا التقليد الجاهلي بعد ظهور الإسلام، ولكن بشكل أكثر حداثة وجديدة وهم يقومون بقتل أولادهم بسبب القضايا غير الشرعية والخوف من قلة القدرة المالية والفقر.

بينما نهي الإسلام عمومًا عن قتل الأطفال نظرًا لأهمية النفس البشرية، فإنّ الإمام باعتباره فقيهًا معاصرًا «يعتبر الإجهاض حرامًا من وجهة نظر الإسلام» (خمینی، ١٣٨٩: ٤/ ٣٦٤). إلا أن بعض الآباء والأمهات الجهلاء يجهضون أطفالهم الأبرياء بسبب الفقر.

صرح البروفيسور محمد اسماعيل أكبري رئيس فريق العمل المعني بالسكان ورأس المال الاجتماعي باللجنة العلمية والثقافية والاجتماعية في الأمانة العامة لمجلس تشخيص مصلحة النظام لوكالة فارس للأنباء: «في المجتمع الإسلامي، تشكل عمليات الإجهاض المتعمد أو الإجرامي ما يقرب من ثلث حالات الإجهاض، وهو رقم مرتفع ومحرج؛ وهذا يعني أن لدينا حوالي ٥٣٠ ألف حالة إجهاض متعمد سنويًا» (المجتمع/الصحة، الإحصاء المؤسف من الإجهاض في إيران،www.farsnews.ir). كما أنّه وفقاً للباحث السكاني،

من بين ٩٤-٩٥٪ من حالات الإجهاض غير القانوني، فإنّ ٣-٤٪ منها ناتجة عن علاقات غير شرعية وخارجة عن العرف والعائلة. (الخبر أون لاين، ١٤٠٢، إحصائيات الإجهاض في الدولة؛ كم نسبة غير قانونية وغير شرعية؟ www.khabaronline.ir).

في حين أنّه في أحكام الشريعة حتى لو كانت الأم مصابة بمرض الجنون، لم يكن لها الحق في الإجهاض: «إذا حملت امرأة مصابة بالجنون، ووفقاً للمعايير الموجودة، يمكن التنبؤ بأن المرض المذكور يتقدم ونظراً لاحتمال نقل الأمراض النفسية إلى الجنين وأيضاً عدم قدرة الأمّ المريضة على رعاية طفلها، فهل يجوز الإجهاض؟ لا يجوز» (خمينى، ١٣٧٢: ٣/ ٢٨١).

ناهيك عن أنّه أعطي بشكل غير قانوني ولأسباب أخرى مثل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية وتعدد الأطفال والشيخوخة، الإذن بالإنهاء الدائم للحمل أو الإجهاض (خمينى، ١٣٩٢: ٨/ ٤٢٨).

«لكن مع الأسف الشديد لهذا الفعل الجاهلي في عصرنا وزماننا هذا، كنقص احتمالي للغذاء على وجه الأرض، يُقتل أطفال أبرياء في العالم الجنيني عن طريق "الكشط"» (مكارم‌شيرازي، ١٣٧٤: ٦/ ٣٤).

تشير كل هذه الإحصائيات تقديرية إلى نقص المعلومات الدينية لدى كثير من الناس بحرمة الإجهاض وتضمن الدية. الحقيقة أن هذا الأمر أدى إلى إزالة وصمة هذا الذنب العظيم، أي الانتحار، وهو عمل غير قانوني ومعادٍ للأخلاق الإسلامي، وقد رفضه القرآن والمعصومين عليهم السلام. اليوم، على عكس زمن الجاهلية العربية، حيث كانوا يقتلون الأطفال بسبب الفقر المالي، إلا أنّه في العصر الحاضر، ومع الكثير من الأبحاث في هذا المجال، تبين لنا أن السبب الرئيسي لهذا الحدث غير الطبيعي هو الفقر الثقافي؛ لأنه في بعض الحالات، تلجأ الأسر التي لا تعاني من مشاكل اقتصادية إلى الإجهاض « تدل الدراسات علي أنّ معظم حالات الإجهاض ترجع إلى الفقر الثقافي وأنّ أولئك الذين يقومون بذلك لديهم دخل متوسط إلى مرتفع» (عداد الصحف الإيرانية، لا تا: إحصائيات واضحة للجرائم الصامتة، www.pishkhan.com).

من ثَمّ، وفقاً للأحكام الفقهية، «لا يجوز تدمير الجنين بعد الحمل إذا لم يكن هناك يقين أو خوف من خطر أو ضرر كبير على الأم ويجب الدية عليه» (مكارم شيرازي، ١٣٨٩:

٣٠٧). تمّ التعبير عن خلاف هذا الحكم، فقد جاء أيضاً أنّه « إذا كان هناك يقين أو خوف من الخطر أو الضرر البالغ على الأم فيجوز في المراحل الأولى» (خميني، ١٤٣٤: ٤٨٠).

يدل الحكم الإسلامي هذا على أنّه لا حق للإجهاض ما لم يكن هناك آثار جسدية وعقلية ضارة على حياة الأم. لقد تمّ إعطاء أهمية كبيرة للجيل بحيث أصبح له مكانة عالية في مجال الأسرة كما جاء في القرآن: ﴿من قَتَلَ نَفساً بِغَيرِ نفسٍ اوفسادٍ فِي الارضِ فكأنّما قَتَلَ النّاس جَميعاً...﴾ (المائدة: ٣٢). لهذا السبب يتصدى الإسلام بقوة للقضايا التي ترتبط ارتباطاً مباشراً بتدمير الأسرة. لهذا السبب وضع النبي ﷺ المبادئ والمعايير للحفاظ على القوانين وتنفيذها في المجتمع الإسلامي؛ لأنه إذا لم يكن هناك هذا الدعم الإلهي، فلن يكون هناك ضمان للحفاظ على عمود الأسرة واستمراريته. لهذا لا بد من أن تكون هذه المعايير أن تتحلّي بقدوة من سلوك النبي ﷺ ويجب التثقيف ونشره على مستوى المجتمع ويجب منع هذا الفقر الثقافي الحديث وهذا لا يتحقق إلا من خلال الاستمرارية.

٣. مواجهة النبي ﷺ للتقاليد السيئة في الزواج والطلاق

لدى المشركين كانت سلسلة من العادات السيئة فيما يتعلق بالزواج والطلاق، والتي من خلالها تم تجاهل حقوق الأسرة وتدميرها. عندما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، قد أبلغ حسب التعليمات التي كان يتلقاها من الله في أوقات ومراحل مختلفة، الاستراتيجيات اللازمة لمواجهة هذه القضايا ويتم تنفيذها لكي يتمكن من توق، هذه العادات الخاطئة. سنطرح هنا شواهد لهذا الموضوع.

٣-١. مواجهة النبي للتقليد الجاهلي في النكاح بزوجة الأب

كان من عادات العصر الجاهلي الزواج من زوجة الأب، وهو ما خالفه النبي ﷺ بقوة متخذاً تقنية إدارية يعكسها الوحي الإلهي، وهو السبب الضروري لرفض مثل هذه الممارسة القبيحة: ﴿وَلا تَنكِحُوا ما نَكَحَ آبَاؤُكُم مِنَ النِّساءِ إِلاَّ ما قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَمَقْتاً وَساءَ سَبِيلاً﴾ (نساء:٢٢). إنّ هذه السورة هي السورة الثانية والتسعين بعد سورة الممتحنة من حيث ترتيب النزول (معرفت، بي‌تا: ١/ ١٣٧). قيل عن وقت نزولها: إنّها كانت بين صلح الحديبية وغزوة تبوك. (بلاغي، ١٣٨٦: ١٩) مما يدل على أن مسار الأحداث هذا قد تم

بترتيب نزولي.

روى ابن سعد عن محمد بن كعب قرظي قال: «كانت العادة في الجاهلية أنّ الرجل إذا مات وترك زوجة كان ابنه أولى من غيره في زواجه بزوجة أبيه» (سيوطي، ١٤٠٤: ٢/ ١٣٤؛ حر عاملي، ١٤٠٩: ٢٠/ ٥١٤؛ فيض‌كاشاني، ١٤١٥: ١/ ٤٣٣ و ٤٣٥؛ داور پناه، ١٣٦٦: ٨/ ١٦٣).

٣-١-١. الاستناد القرآني من سلوك النبي في مواجهة الزواج من زوجة الأب

هناك ثلاثة تفسيرات قوية حول هذا النوع من الزواج عند الله. يقول الله تعالى: أولاً: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾ ثانياً: (و مقتا) أي عملاً بغيضاً يمقت الله فاعله ثالثاً: بئس طريقًا ومنهجًا ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ وحتى نقرأ في التاريخ أنّ الجاهليين أطلقوا أيضًا على هذا النوع من الزواج اسم "المقت" (البغيض) والأطفال الذين نتجوا عنه "المقيت" (أطفال بغيضين). (مكارم‌شيرازي، ١٣٧٤: ٣/ ٣٢٥؛ طبرسي، ١٣٧٥: ١/ ٥٧٠).

إنّ هذا النوع من الزواج مخالف للفطرة الإنسانية، وقد عارض النبي ﷺ هذا السلوك في الزواج. لذلك تداعت بشاعة هذا الفعل في أفكارهم، وواجهوا بأنفسهم هذا الواقع الملموس ولم يظهروا أمامه عنادا، ووضعوا حدا لتقليدهم الجاهلي.

إنّ الشاهد على هذا الأمر رواية وردت في عيون أخبار الرضا من كلام النبي ﷺ: «... وَ كَانَتْ لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ خَمْسٌ مِنَ السُّنَنِ أَجْرَاهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي الْإِسْلَامِ، حَرَّمَ نِسَاءَ الْآبَاءِ عَلَى الْأَبْنَاءِ.» (ابن بابويه، ١٣٧٨: ١/ ٢١٢؛ همو، ١٣٦٢: ١/ ٥٧؛ مجلسي، ١٤٠٣: ١٥/ ١٢٩؛ حرعاملي، ١٤٠٩: ٩/ ٤٩٦؛ حويزي، ١٤١٥: ١/ ٤٦٠؛ قمي‌مشهدي، ١٣٦٨: ٣/ ٣٦٢؛ بحراني، ١٣٧٤: ٤/ ٦٢٠). كما ورد نفس مضمون الرواية في كتاب الخصال وغيره من المصادر على شكل وصية من النبي ﷺ إلى الإمام علي عليه السلام. (ابن‌بابويه، ١٣٦٢: ١/ ٣١٢-٣١٣؛ مجلسي، ١٤٠٣: ١٥/ ١٢٧؛ فيض‌كاشاني، ١٤٠٦: ٢٦/ ١٧٦؛ حرعاملي، ١٤٠٩: ١٣/ ٣٣١؛ ٢٠/ ٤١٥-٤١٦؛ طبرسي، ١٤١٢: ٤٤٠؛ ابن‌بابويه، ١٤١٣: ٤/ ٣٦٥؛ حويزي، ١٤١٥: ١/ ٤٦١؛ طريحي، ١٣٧٥: ٢/ ١٠٩؛ بروجردي، ١٣٨٦: ٢٥/ ٩٤٤).

تدل هذه الروايات على أنّ النبي ﷺ في كلامه وقوله يضرب أولاً مثلاً من نفسه يذكر بقبح هذا الفعل الشنيع. لهذا ذكره من سنة جده الحسنة والذي نهى غيره عن ذلك، وقد

اهتم النبي الأكرم ﷺ بكلمة جده هذه عناية خاصة حيث وصّاه علي ابن عمّه الإمام علي عليه السلام أيضاً. وهذا يدل أيضاً على أن سلوكه كان مبنياً على أنه بدأ مثل هذا الأمر المهم من أفراد عائلته لكي تظهر هذه القضية في ذهن الجمهور مهمةً.

هذا السلوك من النبي يتماشى مع إكرام الأم في الأسرة والحفاظ على حرمة الأسرة. لسوء الحظ، اليوم هناك نوع آخر من الجاهلية الحديثة يحاول تدمير مكانة الأم في المجتمع مثل الأفلام الإباحية على الأقمار الصناعية.

٣-٢. سلوك النبي ﷺ في مواجهة التقليد الجاهلي بطلاق الظهار.

حسب مضمون الآية فإنّ من أنواع الطلاق التي كانت شائعة عند مشركي مكة في الجاهلية هو الظهار. وبهذه الطريقة، عندما أرادوا أن يحرموا زوجتهم، كانوا يقولون: «انت منى كظهر امى» بعد أن قال هذه الكلمات انفصلت عنه زوجته وحرمت عليه إلى الأبد. بعد ظهور الإسلام، قام أحد مسلمي المدينة (الأنصار) بظهار زوجته، ثم ندم فيما بعد على ما فعل. ذهبت زوجته إلى رسول الله ﷺ وعرضت عليه ما جرى، وطلبت الحل حتى يعود زوجها إليها مرة أخرى، فتجادلت مع ذلك الرجل واشتكت إلى الله. هنا نزلت الآيات الكريمة التي نبحث عنها (طباطبايي، ١٣٧٤: ١٩/ ٣١٢). في تفسير قمى، روي الإمام الباقر عليه السلام شأن نزول هذه الآية بمزيد من التفصيل. (قمي، ١٣٦٣: ٢/ ٣٥٣؛ بحراني، ١٣٧٤: ٥/ ٣١٠-٣١٢). كما أن نزول هذه الآية قد رواه كثير من المفسرين والكتب التاريخية مع اختلاف (كليني، ١٤٠٧: ٦/ ١٥٢-١٥٣؛ طوسي، لاتا: ٧/ ٢٣٨؛ طبرسي، لاتا: ٧/ ١٥٠؛ ابن بابويه، ١٣٦٧: ٥/ ٢٢٤-٢٢٦؛ طبرسى، ١٣٧٥: ٢/ ١٠٨؛ عربي، ١٣٨٣: ٤/ ٣٠٦-٣٠٧).

بالرجوع إلى سيرة رسول الله ﷺ العملية نجد روايات كثيرة عنه في كراهة الطلاق عموماً «قد روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: [هذا الخبر] بلغ النبي الأكرم ﷺ أنّ أبا أيوب يريد أن يطلق امرأته، فقال رسول الله ﷺ: إن طلاق أم أيوب لَحوب» (كليني، ١٤٠٧: ٦/ ٥٥؛ حرعاملي، ١٤٠٩: ٢٢/ ٨). إنّ وجود هذه الرواية يدل على قاعدة كلام الله المنظمة الصحيحة، وهو ما سنتناوله فيما بعد.

٣-٢-١. مواجهة القرآن للتقليد الجاهلي المتمثل في طلاق الظهار

كان العنصر البناء في سلوك رسول الله ﷺ ضد ممارسات الجاهلية في مجال الطلاق، بما في ذلك مسألة طلاق الظهار، هو الوحي الإلهي. قد حرم الله هذا الطلاق وفرض عليه غرامة، حيث تعكس الآية الثانية من سورة المجادلة هذا القانون الإلهي. هذه السورة هي من السور النازلة علي النبي ﷺ في المدينة. (طبرسي، لاتا: ٢٤/ ٢٥٨). عن تاريخ نزول هذه السورة يذكر أنها كانت في السنة السادسة من الهجرة (بين صلح الحديبية وغزوة تبوك) (بلاغي، ١٣٨٦: ٢٨).

روي عن أبي جعفر عليه السلام: «مَرَّ رسولُ اللّه برَجُلٍ فقالَ: ما فَعَلَت امرأتُكَ؟ قالَ: طَلَّقتُها يا رسولَ اللّه ، قالَ: مِن غَيرِ سُوءٍ؟! قالَ: مِن غَيرِ سُوءٍ.ثُمّ قالَ: إنَّ الرجُلَ تَزَوَّجَ فَمَرَّ بِهِ النبيُّ صلى الله عليه و آله فقالَ: تَزَوَّجتَ؟ قالَ: نَعَم، ثُمّ قالَ لَهُ بعدَ ذلكَ: ما فَعَلَت امرأتُكَ؟ قالَ: طَلَّقتُها، قالَ: مِن غَيرِ سُوءٍ؟! قالَ: مِن غَيرِ سُوءٍ.

ثُمّ إنّ الرجُلَ تَزَوَّجَ فَمَرَّ بِهِ النبيُّ صلى الله عليه و آله، فقالَ: تَزَوَّجتَ؟ فقالَ: نَعَم، ثُمّ قالَ لَهُ بَعدَ ذلكَ: ما فَعَلَت امرأتُكَ؟ قالَ: طَلَّقتُها، قالَ: مِن غَيرِ سُوءٍ؟! قالَ: مِن غَيرِ سُوءٍ.فقالَ رسولُ اللّه صلى الله عليه و آله: إنَّ اللّهَ عَزَّ و جلَّ يُبغِضُ أو يَلعَنُ كُلَّ ذَوّاقٍ مِنَ الرِّجالِ، و كُلَّ ذَوّاقَةٍ مِنَ النِّساءِ» (حرعاملي، ١٤٠٩: ٢٢/ ٨؛ خرمشاهي، ١٣٧٦: ٥٧٤).

تدل بيعة سلوك النبي ﷺ على الحكمة في وضع القوانين الرادعة، وتنفيذ بعض الحدود الإلهية. في الحقيقة أنّ رسول الله ﷺ قد تعامل مع هذه القضايا والعادات الباطلة للمشركين بشكل متناوب خلال بعثته، وبحسب مقتضيات الظروف والزمان كان ينبغي عليه أن يبذل كل جهوده لتكوين مجتمع إسلامي مثالي حتى يتمكن من قيادته في الاتجاه الصحيح.

لذلك ينبه الله تعالى على لسان رسول الله ﷺ إلى الاهتمام بالقواعد اللازمة لبقاء الأسرة؛ لأنّ من الأمور الضرورية والأساسية في استمرار الغرض من خلق الإنسان هو أساس الأسرة، ويعتبر استمرار الجنس البشري من ضروریاتها. عندما يتعرض هذا العضو لهجوم من قبل سلسلة من الخرافات، يجب علينا إيجاد استراتيجيات لحل هذه المشكلة. لهذا السبب، في عصرنا هذا، يجب أن يكون هناك تشجيع للزواج ومنع للطلاق، مثل الغرامات، ليكون بمثابة حاجز ويقف أمام سلوك الإنسان الخاطئ ويعيّن الحد الذي لا يستطيع تجاوزه.

لهذا السبب، كان لسلوك رسول الله ﷺ دور أساسي في هذا الأمر، وهو مصدر ثبات هذه الشرائع الإلهية ودوامها على مستوى المجتمعات الإسلامية.

٣-٣. تحديث سلوك النبي ﷺ في مواجهة الزواجات في الجاهلية الحديثة

في عصرنا هذا، على عكس زمن النبي ﷺ، كان الزواج من زوجة الأب محرماً؛ واليوم هناك نوع آخر من الزواج ليس له وجه إسلامي، ويعتبر من الزواجات غير الإسلامية والجاهلية الحديثة. مثل: الزواج الأبيض والزواج بالحيوانات وزواج المثليين وهو أمر شائع في الدول الأوروبية وللأسف دخل إلى الدول الإسلامية أيضاً.

٣-٣-١. الزواج الأبيض:

على مر تاريخ البشرية والمجتمعات والثقافات المختلفة، اتخذت العلاقة مع الجنس الآخر أشكالا وأبعادا مختلفة، ومن أنواعها الجديدة، والتي أخذت تتوسع في السنوات الأخيرة في بلادنا، هو الزواج الأبيض، الذي يمثل علاقة غير شرعية والتعايش بين جنسين مختلفين في مكان مشترك؛ علاقة خارجة عن التزامات الزواج ويختار الطرفان العيش في مسكن مشترك لتلبية احتياجاتهما الجنسية فقط (عبدالنظام، بركي تبار، جوكار، ١٤٠٢: ١).

في حين أن وجود الأسرة والإنجاب من أهم تعاليم الإسلام، وقد أكد عليه القرآن والأئمة المعصومون عليهم السلام. وقد أمر الله بالزواج في القرآن الكريم: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً...﴾ (الروم:٢١). لكن للأسف، وعلى عكس هذا التعليم، اتجه المجتمع اليوم إلى هذا النوع من الزواج، الذي لا يجلب إلا الضرر القانوني والاجتماعي والنفسي للناس. «في النظام القانوني والفقهي الإيراني تعتبر هذه الظاهرة غير قانونية بسبب عدم التسجيل الشرعي وانعدام المسؤولية القانونية والشرعية الفقهية لهذا النوع من العلاقات وكذلك الحمل غير المرغوب فيه والأعراض الصحية الناجمة عن الإجهاض» (عليزاده و همكاران، ١٤٠٠: ٥٤٢).

كما رأى الامام الخميني (رض) ضرورة وجود كلمة (الإيجاب) و (القبول) في عقد النكاح: «النكاح على قسمين: دائم ومنقطع. وكلّ منهما يحتاج إلى عقد مشتمل على إيجاب وقبول لفظيين دالّين على إنشاء المعنى المقصود و الرضا به دلالة معتبرة عند أهل المحاورة،

فلا يكفي مجرّد الرضا القلبي من الطرفين (خمينى، ١٤٣٤: ٢/ ٢٦٤). حيث تؤكد الآية ٢١ من سورة النساء علي وجوب صيغة النكاح: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا...﴾ (النساء:٢١).

في حين أن هذا النوع من الزواج الذي يحدث في عصرنا هذا مخالف لهذه القاعدة القرآنية ولا يلتزم بأي مبادئ أو عهود. في حين أن الله قد نظم وأنشأ هذا العالم بسلسلة من القوانين والمبادئ حتى يتمكن من تحقيق أفضل وأعلى الفوائد المتاحة للبشرية والاستفادة الكاملة منها في مجال الأسرة. لكن إذا دققنا النظر إلى هذا النوع من الزواج الذي يقوم على الشهوات الجسدية، فنري أنّه ليس مصدرا لراحة البال ولا مودة بين الزوجين، بل يؤدي فقط إلى الإجهاض غير القانوني، وزيادة عدد حالات الطلاق، وانخفاض الإنجاب فهو يوجه أهم الضربات إلى الهدف الأصلي للخلق، أي بؤرة الأسرة.

٣-٣-٢. حفل الطلاق:

ليس فقط في مجال الزواج، بل في الطلاق أيضاً، نحن أمام قضايا جديدة مثل الطلاق من دون خطأ والاحتفال بالطلاق، وهو ما يحاول تدمير الأسرة في حين أنّ الرواية عن النبي ﷺ تدل علي مبغوضيته ناهيك عن أنّه حدث الانفصال على شكل طلاق من دون خطأ أو حفل الطلاق. الزواج علاقة مقدسة في الإسلام، وهو ضروري لسلامة نفس الإنسان وجسده، ولكن الطلاق من دون خطأ مخاف له. كما رواه النبي ﷺ: «تَزَوَّجُوا وَلَا تُطَلِّقُوا فَإِنَّ الطَّلَاقَ يَهْتَزُّ مِنْهُ الْعَرْشُ» (طبرسي، ١٤١٢: ١٩٧؛ ابن ابي جمهور، ١٤٠٥: ٢/ ١٣٩؛ حر عاملي، ١٤٠٩: ٢٢/ ٩؛ المصدر نفسه، ١٤١٤: ٧/ ٣٦٥؛ پاينده، ١٣٨٢: ٣٨٤).

اليوم، يتم أداء هذه الاحتفالات كاحتفال بالطلاق من قبل بعض الناس في مجتمعنا، وأهم سبب لحرمتها هو التشبه بالكفار؛ لأنه حسب صراحة الأحاديث لا يجوز التشبه بالكفار في العادات والتقاليد (كيخا، شايسته، ١٤٠٢: ٦٨). أفضل الاستدلال هو الحديث الشهير للإمام الصادق عليه السلام: «أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ إِلى نَبِيٍّ مِنْ أَنْبِيَائِه قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ لَا تَلْبَسُوا لِبَاسَ أَعْدَائِي وَلَا تَطْعَمُوا طَعَامَ أَعْدَائِي وَلَا تَسْلُكُوا مَسَالِكَ أَعْدَائِي فَتَكُونُوا أَعْدَائِي كَمَا هُمْ أَعْدَائِي» (حر عاملي، ١٣٨٠: ٢/ ٣٤٨؛ ابن بابويه، ١٤١٣: ١/ ٢٥٢، قطب رواندي، ١٤٠٩: ٢٧٩؛ طبرسي، ١٣٨٥ق: ٣٢٥؛ ورام بن ابي فراس، ١٣٦٩: ١/ ١٥؛ حر عاملي، ١٣٨٠: ٦٧١).

إنّ جملة «لاتسلكوا مسالك اعدايي.. » تدل علي هذا النهي. بما أنّ هذه العادات والتقاليد واردة من بلاد الكفر، فهذا النهي نفسه في هذا لحديث يدل علي التحريم ويجب ألا نستخدم مثل هذه العادات التي يرجع جذرها إلى المجتمعات غير الإسلامية؛ لأنّه مع مرور الزمن، سيزول قباحة مبغوضية الطلاق ويترك الناس مركز الأسرة بسهولة مما يجلب للإنسان الآثار المضرّة. من ثَمّ، بعد دراسة الآيات علي ترتيب النزول، شاهدنا معايير تدل علي أنّ سلوك النبي ﷺ هو فعل من القوانين الإلهية ويجب مأسسة هذه الأصول القيّمة في المجتمع وأهمّ منه في مؤسسة الأسرة لكيلا ينهدم تقدّس الأسرة.

٤. التحليل والمستخلص

من خلال دراسة عدة السور قبل سورة التكوير من حيث ترتيب النزول تبين أنّ هذه السورة هي أول حالة ذكرت فيها سنة المشركين الباطلة والجاهلية في بداية بعثة النبي ﷺ، حيث ناقشنا في الآية ٨-٩: كما هو الحال في مصادر علوم القرآن وتفاسيره فإنّ سورة العلق نزلت في أول البعثة وهي من أول السور التي نزلت على النبي ﷺ في السنة الأولى من بعثته (قرشي بنايي، ١٣٧٥: ١٢/ ٢٨٤).

إنّ السور مثل القلم، والمزمل، والمدثر، والحمد، والمسد (طبرسي، بيتا: ٢٠٢،٢٦/٢٥/ ٤٣، ١/ ٣٣،٢٧/ ٣٤٤؛ معرفت، ١٣٨٨: ١/ ١٦٨) كلها نزلت في مكة ومن حيث ترتيب النزول، نزلت واحدة تلو أخرى (معرفت، ١٣٨٨: ١/ ١٦٨؛ بلاغي، ١٣٨٦: ٢٩و٣٠-٣٢و٣٨).

من حيث المضمون والمحتوي: في سورة العلق، في أول الأمر أمر الله النبي ﷺ بالقراءة، ثم أشير إلى خلق الإنسان وكماله كما أشير إلى العقاب المؤسف للإنسان المتمرد. في سورة القلم يعزي النبي ﷺ عن أفتراء المشركين، ويدعوه إلى الصبر، وينهاه عن اتباع المشركين. من أجل خلق هذا الصبر ومأسسته أمر النبي ﷺ بعبادة الليل حتى يتمكن في سورة المدثر بدعوته للإنذار مع المثابرة، ويهيئ نفسه لاضطهاد البعض مثل أبو لهب وزوجته حيث نزلت سورة مسد في هذين الشخصين، وفيها انتقاد شديد لهما، وبينت مكانتهما في الحياة الآخرة. بهذه الدّقة، في السور التي نزلت قبل سورة التكوير، تبين أنّه لم يرد قبل سورة التكوير تقليد جاهلي، وهذه أول سورة تتحدث عن وأد البنات وقتلهن. لذلك فإن هذه

الدراسة تشير إلى أنّ وجود هذا التقليد الجاهلي قد ورد بشكل عام ومختصر في سورة التكوير، وفي السورة التي تليها أي في النحل وصف هذه الوظيفة بمزيد من التفصيل، وفي سورة الإسراء التي تليها، أشار إلى العوامل التي تسببت في هذا الأمر القبيح.

التقليد التالي للجاهلية في مجال الأسرة كانت قضية الزواج والطلاق. بما أنّ هذه القضايا كانت من مباحث الأحكام نزلت علي النبي ﷺ بعد هجرته إلى المدينة. لهذا السبب فإن السور المتضمنة في هذه المواضيع تعتبر سوراً مدنية. السورة الأولى المعنية هي سورة النساء، وهي السورة الثانية والتسعون التي نزلت على النبي (معرفت، ١٣٨٨: ١٧٠/١). قبل ذلك هناك سورة الممتحنة وهي السورة الواحدة والتسعون من حيث الترتيب (معرفت، ١٣٨٨: ١/ ١٧٠). في هذه السورة، وفي الآية ١٠ فقط، تم الحديث عن قصة المهاجرات ومحنتهن وأحكام أخرى في هذا الشأن (مكارم‌شيرازي، ١٣٧٤: ٢٤/ ٥) من خلال دراسة مضمون سورة النساء نجد أنها تتضمن العديد من الأحكام الفقهية المتعلقة بالمرأة، كأحكام الزواج والميراث وغيرها كما أن مسألة الزواج بزوجة الأب دخلت أيضاً في هذه الأحكام ومن عادات المشركين الباطلة.

إلى جانب مسألة الزواج، هناك قضية أخرى مهمة في نظام الأسرة وهي الطلاق، والتي وردت في سورة المجادلة؛ لأنها كانت من أهم القضايا في هذا المجال. بدراسة السور التي قبلها سنتوصل إلى أنّ السور من حيث ترتيب نزولها، مثل الحشر والنصر والنور والحج والمنافقون، لم تناقش ذلك في سياق عادة المشركين الباطلة، وقد تقدم الحديث عنه في سورة المجادلة حتى بدراسة سورة المنافقون التي دخلت قبلها فهي من السور المدنية (بلاغي، ١٣٨٦: ٢٩) كان أكثر موضوعاتها الحديث عن المنافقين وعلاماتهم ومؤامراتهم. إنّ هذه المباحث تدل علي أنّ هذه السورة هي أول سورة أشارت إلى هذا التقليد الجاهلي؛ لأنه حتى بدراسة سور الطلاق حسب ترتيب النزول، مثل البقرة والنساء والأحزاب والطلاق، فقد تمت مناقشة معظم مواضيع أحكامه وحقوقه، بينما تناولت هذه السورة هذا التقليد صراحة.

لذلك فإن هذه الأسباب من حيث ترتيب النزول والموضوعات تدل على أنّ هذه السور كانت من أوائل السور التي عبرت عن أهم موضوعات التقاليد الباطلة في مجال الأسرة. لهذا فإن اتباع سيرة النبي ﷺ يقودنا إلى أفضل الاستراتيجيات.

٥. النتيجة:ـ

إنّ النبي الأكرم،خلال سنوات رسالته الطويلة، عندما كان في مكة وحتى بعد هجرته إلى المدينة، تفاعل مع تقاليد المشركين الجاهلة وغير الصحيحة التي أصبحت جزءاً من عقيدتهم. من خلال دراسة الآيات بناء على ترتيب النزول، قد أدت التدابير السلوكية للنبي مع هذا النوع من المعتقدات في مجال الأسرة إلى استنتاج مفاده أنه في بداية البعثة أعلن معارضته لوأد البنات. لذلك كانت سورة التكوير أقرب سورة في بداية البعثة النبوية، حيث كان وأد البنات عادة خاطئة عند كثير من المشركين. بما أنّ وجود هذا الفعل كان يعتبر انتحاراً وكانت البنت هي أكثر قتيل اضطهاداً كانت تقتل في طفولتها دون أي قوة دفاع، لذلك أخبر الله رسولهﷺ بشكل استفهامي وباستراتيجية السؤال عن القاتل وفي المقابل تعامل مع هذا السلوك الجاهل من خلال اتباع استراتيجية تعزيز مكانة البنت وتقديرها. كان وجود فاطمة الزهراء (عليها السلام) إحدي الدلائل ولقد أظهر بالقول والأفعال للمشركين الجهال كيفية احترام البنت حتى يتمكنوا من رؤية مدي مكانة المرأة وكرامتها عند الله.

من السلوكيات الجاهلة المهمة والضرورية جداً للمشركين والتي ورد ذكرها في القرآن هي قتل الأولاد بسبب الفقر والإملاق. لقد أخبرهم الله عن طريق النبي أن قتل النفس حرام. وبلهجة "انّ قتلهم كان خطا كبيراً" ينهى المشركين بشدة عن قتل أطفالهم ظلما بسبب الفقر والفاقة. حدثت هذه الأمور نفسها بطريقة جديدة في العصر الحديث، أهمها الإجهاض تعمداً. حيث إنّ تدابير النبي ﷺ ستكون مفيدة هنا أيضاً.

هناك مسألة أخرى مهمة تتعلق بترتيب النزول في مجال الأسرة وهي ذات أهمية كبيرة وكانت من المعتقدات الباطلة عند المشركين، وقد أولي النبي نفسه اهتماما خاصا بها، وهي مسألة الزواج والطلاق. على سبيل المثال، فإنّ من أخطأ عادات المشركين في الزواج والطلاق هو الزواج من زوجة الأب وطلاق الظهار، وهو ما حدث خلال سنوات وجوده في المدينة. أما الزواج بزوجة الأب، فقد رفض الله هذا الفعل القبيح بثلاثة جمل قوية. فيما يتعلّق بقضية الطلاق، كان النبي ﷺ يحذر هؤلاء أولاً من أنه سلوك سيئ، ثم رداً على شدة أدائهم يخبرهم بعواقب أفعالهم ومن ذلك تحريم طلاق الظهار ولو استمروا في عملهم، فلن ينالوا إلا العداوة واللعنة من الله. لذلك بهذه المباحث، سنفهم أنّ السلوك في

البداية كان لطيفاً ولينا وعلى مستوى الوعي والحذر، علي الرّغم من أن رسول الله ﷺ أعطى أوامر تدل على الزواج الصحيح والنهي عن مبغوضية الطلاق. ولكن إذا استمروا في عملهم مع علمهم، اشتدت طريقة المواجهة وتوعدوا باللعنة.

فعل النبي ﷺ كل هذا لإزالة عقائد المشركين الباطلة حسب الأحوال والأزمنة المختلفة. من المؤكد أنّ هذا النوع من سلوك النبي ﷺ في الجاهلية الحديثة التي نواجه أنواع جديدة ومختلفة من الزواج مثل الزواج الأبيض، وأيضا مع أنواع الطلاق من دون خطأ والاحتفالات بالطلاق التي لقد دخلوا الدول الإسلامية من دول غير إسلامية، يمكن أن تكون لنا نموذجًا صالحًا للاستخدام.

من ثَمّ، إنّ كل هذه الأدلة تشير إلى أنّ دراسة الآيات على أساس ترتيب النزول في سياق الأسرة تساعدنا على علي أن نفهم أنّه ما هي الأمور ذات الأولوية في نظام الأسرة من وجهة نظر القرآن. لهذا سنتعرف على حكمة سلوك النبي ﷺ أثناء بعثته، والذي يسعى إلى إزالة ومنع النتائج السيئة لمثل هذه الحيل التي تهدف إلى تخريب نظام الأسرة. في الواقع، تعتبر هذه السلوكيات بمثابة خريطة طريق للناس لاستخدام هذه القوانين لتأسيس الأسرة والحفاظ على هذه الركيزة المهمة في المجتمع، لأنهم يعملون بمثل هذا السد المتين ويقفون أمام العديد من خرافات الجاهلية الحديثة. علي الرغم من أنّ هناك قرونًا بين زمن النبي وبيننا، لكن يتضح فضل هذه القوانين الإلهية في القرآن في ذلك الوقت وأهميتها في عصرنا وضوحًا أكثر وإنّ معجزة القرآن التي هي سبب ديمومته، تظهر نفسها. كما أن وجود سلوكيات النبي ﷺ إلى جانب هذه المعجزة، سيكون مفيداً لأي فترة من الزمن.

هوامش البحث

(١) هذا البحث مستخرج من رسالة المستوي الرابع.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء بالقرآن الكريم: مترجم: مكارم‌شيرازي، ناصر، (١٣٨٣)، چ٣، قم: اسوه.

١. ابن‌ابي‌الحديد، عبدالحميدبن‌هبه‌الله، (١٤٠٤ق)، شرح نهج البلاغة (ابن‌أبي‌الحديد)، محقق: ابراهيم، محمد ابوالفضل، قم: مكتبة آية الله العظمي المرعشي‌النجفي (ره).

٢. ابن أبي‌جمهور، محمد بن زين الدين، (١٤٠٥ق)، عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، محقق/ مصحح: عراقي، مجتبى، چ: اول، قم: دار سيد الشهداءللنشر.

٣. ابن بابويه، محمدبن‌علي، (١٣٦٧)، ترجمه من لا يحضره الفقيه، مترجم: غفاري، علي‌اكبر و غفاري، محمد جواد و بلاغي، صدر، محقق / مصحح: غفاري، علي اكبر، چ: اول، تهران: نشر صدوق.

٤. ----------، (١٣٧٦)، الأمالي (للصدوق)، چ: ششم، تهران: كتابچي.

٥. ----------، (١٤١٣ق)، من لا يحضره الفقيه، محقق/ مصحح: غفاري، علي‌اكبر، چ: دوم، قم: دفتر انتشارات اسلامي وابسته به جامعه مدرسين حوزه علميه قم.

٦. ----------، (١٣٦٢)، الخصال، محقق/ مصحح: غفاري، علي‌اكبر، چ: اول، قم: جامعه مدرسين.

٧. ----------، (١٣٧٨)، عيون أخبار الرضا عليه‌السلام، محقق/ مصحح: لاجوردى، مهدى، چ: اول، تهران: نشر جهان.

٨. ----------، (١٣٨٥/١٩٦٦م)، علل الشرائع، چ: اول، قم: كتاب فروشي داوري.

٩. ابن‌عاشور، محمدطاهر، (١٤٢٠ق)، تفسير التحرير و التنوير، چ: ١، بيروت: مؤسسة التاريخ العربي.

١٠. آل‌غازي، عبدالقادر، (١٣٨٢)، بيان المعاني، چ اول، دمشق: مطبعه الترقي.

١١. بحرانى، هاشم‌بن‌سليمان، (١٣٧٤)، البرهان في تفسير القرآن، محقق/ مصحح: قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة، چ: اول، قم: مؤسسه بعثه.

١٢. بلاغى، عبدالحجه، (١٣٨٦)، حجة التفاسير و بلاغ الإكسير، چ: ١، قم: حكمت (چاپخانه).

١٣. بروجردى، آقاحسين، (١٣٨٦)، جامع أحاديث الشيعة، محقق/ مصحح: جمعى از محققان، چ: اول، تهران: انتشارات فرهنگ سبز.

١٤. بهجت‌پور، عبدالكريم، (١٣٩٤)، شناخت نامه تنزيلي سوره‌هاي قرآن كريم، قم: موسسه تمهيد.

١٥. پاينده، ابوالقاسم، (١٣٨٢)، نهج الفصاحة، چ: چهارم، تهران: دنياى دانش.

١٦. پيشخوان روزنامه‌هاي ايران، (بي‌تا)، آمارهاي روشن جنايات خاموش، www.pishkhan.com.

١٧. جامعه/ سلامت، آمار تكان دهنده از سقط جنين در ايران، (١٤٠١/٢/٢٨)، www.farsnews.ir.

١٨. جعفرى، يعقوب، (١٣٧٦)، تفسير كوثر، چ: ١، قم: موسسه انتشارات هجرت.

١٩. حر عاملی، محمدبن‌حسن، (١٤٠٩ق)، وسائل‌الشیعة، محقق/ مصحح: مؤسسة آل‌البیت ﷺ، چ: اول، قم: مؤسسة آل‌البیت علیهم‌السلام.
٢٠.----------، (١٣٨٠)، الجواهر السنية في الأحاديث القدسية، چ: سوم، تهران: بی‌نا.
٢١.----------، (١٤١٤ق)، هداية الأمة إلى أحكام الأئمة ﷺ، محقق/ مصحح: آستان قدس رضوی. بنیاد پژوهش‌های اسلامی. گروه حدیث، چ: اول، مشهد: آستانة الرضوية المقدسة، مجمع البحوث الإسلامية.
٢٢. حویزی، عبدعلی بن جمعه، (١٤١٥)، تفسیر نور الثقلین، مصحح: رسولی، هاشم، چ: ٤، قم: اسماعیلیان.
٢٣. خبرآنلاین، (١٤٠٢/٢/٣١)، آمار سقط جنین در کشور؛ چند درصد غیر قانوني و نامشروع است؟، www.khabaronline.ir.
٢٤. خرمشاهی، بهاءالدین، (١٣٧٦)، پیام پیامبر، چ: اول، تهران: منفرد.
٢٥. خمینی، روح‌الله، (١٣٨٩)، صحیفه امام، چ: ٥، تهران: موسسه تنظیم و نشر آثار امام خمینی(س).
٢٦. ----------، (١٣٧٢)، استفتاآت(للإمام الخميني(س))، چ: ١، قم: جامعه مدرسین حوزه علمیه قم، دفتر انتشارات اسلامی.
٢٧. ----------، (١٣٩٢)، استفتائات امام خمینی(س) (موسوعة الإمام الخميني)، محقق: موسسه تنظیم و نشر آثار امام خمینی(س)- دفتر قم، چ: ١، تهران: موسسه تنظیم و نشر آثار امام خمینی(س).
٢٨. ----------، (١٤٣٤ق)، تحریر الوسیلة، محقق: موسسه تنظیم و نشر آثار امام خمینی(س)- دفتر قم، چ: ٣، تهران: موسسة تنظيم و نشر آثار الإمام‌الخمینی(قدس سره).
٢٩. داورپناه، ابوالفضل، (١٣٦٦)، انوار العرفان فی تفسیر القرآن، چ: ١، تهران: کتابخانه صدر.
٣٠. رضایی‌اصفهانی، محمدعلی، (١٣٨٧)، تفسیر قرآن مهر، چ: ١، قم: پژوهشهای تفسیر و علوم قرآن.
٣١. سیوطی، عبدالرحمن بن ابی‌بکر، (١٤٠٤ق)، الدر المنثور فی التفسیر بالماثور، چ: ١، قم: کتابخانه عمومی حضرت آیت الله العظمی مرعشی نجفی(ره).
٣٢. طباطبایی، محمدحسین، (١٣٧٤)، ترجمه تفسیر المیزان، مترجم: موسوی، محمد باقر، چ: ٥، قم: جامعه مدرسین حوزه علمیه قم، دفتر انتشارات اسلامی.
٣٣. طبرسی، فضل‌بن‌حسن، (بی‌تا)، ترجمه تفسیر مجمع‌البیان، مترجم: نوری‌همدانی، حسین، محقق: مفتح، محمد، مترجم: بهشتی، احمد، ترجمه و تصحیح: رسولی، هاشم، تهران: فراهانی.
٣٤. طبرسی، حسن‌بن فضل، (١٤١٢ق)، مکارم‌الأخلاق، چ: چهارم، قم: الشریف الرضی.
٣٥. طبرسی، فضل‌بن‌حسن، (١٣٧٥)، ترجمه تفسیر جوامع‌الجامع، چ: ١، مشهد مقدس: آستان قدس رضوی، بنیاد پژوهشهای اسلامی.
٣٦. طبرسی، علی بن حسن، (١٣٨٥ق/١٩٦٥م / ١٣٤٤)، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، چ: دوم، نجف: مکتب الحیدریه.

٣٧. طبرى آملى، عماد الدين أبي جعفر محمد بن أبي القاسم، (١٣٨٣ق)، بشارة المصطفى لشيعةالمرتضى، چ: دوم، نجف: المكتب الحيدريه.
٣٨. طريحي، فخرالدين بن محمد، (١٣٧٥)، مجمعالبحرين، محقق/ مصحح: حسينىاشكورى، احمد، چ: سوم، تهران: مرتضوى.
٣٩. طوسى، محمدبنحسن، (بيتا)، التبيان في تفسير القرآن، مصحح: عاملى، احمد حبيب، مقدمهنويس: آقا بزرگ تهرانى، محمد محسن، چ: ١، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٤٠. عربى، حسين على، (١٣٨٣)، تاريخ تحقيقى اسلام، چ: چهارم، قم: مؤسسه امام خمينى.
٤١. عياشى، محمدبنمسعود، (١٣٨٠)، تفسيرالعياشي، محقق: رسولى، هاشم، چ: ١، تهران: مكتبةالعلمية الاسلامية.
٤٢. فيضكاشانى، محمدمحسن بن شاهمرتضى، (١٤٠٦)، الوافي، چ: اول، اصفهان: كتابخانه امام أميرالمؤمنين على عليهالسلام.
٤٣. فيضكاشانى، محمد بن شاه مرتضى، (١٤١٥ق)، تفسيرالصافي، مقدمه و تصحيح: اعلمى، حسين، چ: ٢، تهران: مكتبة الصدر.
٤٤. قاضي، عبد النظام و بركي تبار، معصومه و جوكار، سميه، (١٤٠٢/٣/١٧)، «آسيبهاي اجتماعي و ابعاد حقوقي ازدواج سفيد»، تهران: هشتمين كنفرانس بين المللي و ملي مطالعات مديريت، حسابداري و حقوق.
٤٥. قرشى بنابى، علىاكبر، (١٣٧٥)، تفسير احسن الحديث، چ ٢، تهران: بنياد بعثت، مركز چاپ و نشر.
٤٦. قطب الدين راوندى، سعيد بن هبة الله، (١٤٠٩ق)، قصص الأنبياء عليهمالسلام، چ: اول، مشهد: مركز پژوهشهاي اسلامي.
٤٧. قمى، علىبنابراهيم، (١٣٦٣)، تفسير القمي، محقق: موسوى جزايرى، طيب، چ: ٣، قم: دار الكتاب.
٤٨. قمي مشهدي، محمد بن محمدرضا، (١٣٦٨)، تفسير كنز الدقائق و بحر الغرائب، محقق/ مصحح: درگاهى، حسين، چ: اول، تهران: وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامى، سازمان چاپ و انتشارات.
٤٩. كيخا، محمد رضا و شايسته، ايوب، (١٤٠٢)، «بررسي فقهي جشن طلاق»، فصلنامه مطالعات زن و خانواده، پژوهشكده زنان دانشگاه الزهراء، دوره ١١، ش ٢، پياپي ٢٩.
٥٠. عليزاده و روح الله، افضلي گرفه و خزايي، مجيد، (١٤٠٠)، «جايگاه عرف در ازدواج سفيد از نظر فقه اسلام»، فصلنامه علمي پژوهشي خانواده درماني كاربردي، دوره ٢، ش ٤، پياپي ٨.
٥١. كلينى، محمد بن يعقوب، (١٤٠٧ق)، الكافي، محقق/ مصحح: غفارى على اكبر و آخوندى، محمد، چ: چهارم، تهران: دار الكتب الإسلامية.
٥٢. مجلسى، محمد باقر بن محمد تقى، (١٤٠٣)، بحارالأنوار، محقق/ مصحح: جمعى از محققان، چ: دوم، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٥٣. معرفت، محمدهادي، (بيتا)، التمهيد، قم: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم. مؤسسة النشر الإسلامي.
٥٤. ----------، (١٣٨٨)، التمهيد في علوم القرآن، قم: مؤسسه فرهنگي انتشاراتي التمهيد.

٥٥. مغنيه، محمدجواد، (١٣٧٨)، ترجمه تفسير كاشف، تهيه كننده: دفتر تبليغات اسلامى، شعبه خراسان، مترجم: دانش، موسى، چ: ١، قم: بوستان كتاب قم (انتشارات دفتر تبليغات اسلامى حوزه علميه قم).
٥٦.مفيد، محمد بن محمد، (١٤١٣ق)، الأمالي، محقق/ مصحح: استاد ولى، حسين و غفارى على‌اكبر، چ: اول، قم: كنگره شيخ مفيد.
٥٧. مكارم شيرازى، ناصر، جمعى از نويسندگان، (١٣٧١)، تفسير نمونه، چ: ١٠، تهران: دار الكتب الإسلامية.
٥٨. ----------، (١٣٧٤)، تفسير نمونه، چ٣٢، تهران: دارالكتب الاسلاميه.
٥٩. ----------، (١٣٨٩)، احكام خانواده، ملاحظات: تهيه و تنظيم حجة الإسلام وحيد عليان نژاد، چ: دوم، قم: امام على بن ابى طالب عليه‌السلام.
٦٠. ----------، (١٤٢٩ق)، رسالة توضيح المسائل، چ: پنجاه دوم، قم: مدرسه الامام على بن ابى طالب .
٦١. ورام بن أبي فراس، مسعود بن عيسى، (١٣٦٩)، مجموعه ورّام، مترجم: عطايى، محمد رضا، چ: اول، مشهد: بنياد پژوهشهاى اسلامى آستان قدس رضوى.